الروائيّ الفرنسيّ باتريك موديانو ينال نوبل الآداب لعام 2014

المصائر الإنسانيّة تدور في عالمه السرديّ التاريخيّ حول الذاكرة والهويّة والشعور بالذنب

برّرت الأكاديمية السويدية أمس الخميس فوز الكاتب الفرنسي باتريك موديانو بجائزة نوبل الآداب لعام 2014 بكونه صاحب الأعمال التي جعلته «مارسيل بروست هذا العصر». وتركزت أعمال موديانو، غير المشهور نسبياً خارج فرنسا، على الذاكرة والنسيان والهوية والذنب، وغالباً ما تدور حوادثها خلال الاحتلال الألماني لفرنسا في الحرب العالمية الثانية. كما كتب روايات للأطفال وسيناريوات أفلام.

الأمين العام الدائم للأكاديمية السويدية بيتر إنغلند صرّح قائلاً «يمكننا القول إنه مارسيل بروست عصرنا»، وأضافت الأكاديمية أنها منحت موديانو الجائزة «لفن الذاكرة الذي استحضر من خلاله مصائر إنسانية هي الأصعب فهماً». وسبق أن فاز موديانو بجائزة، غونكور وهي أرفع جائزة أدبية في فرنسا، عام 1978.

ولد باتريك موديانو في باريس عام 1945 من أب إيطالي وأم بلجيكية التقيا في باريس زمن الاحتلال. عاش طفولة ترنحت بين غياب الأب وجولات الأم التي كانت تعمل ممثلة سينمائية. ترك موت شقيقه رودي جرحاً لا يندمل في نفسه وظل يهدي إليه أعماله المكتوبة بين عامي 1967 و1982.

يقول عن ولادته: «المصادفة هي التي خلقتني عام 1945، وهبتني أصولاً مضطربة، وهي التي حرمتني من محيط عائلي. لا يمكنني أن أكون مسؤولاً عن الأفكار السوداء والقلق، فأنا لم أختر، البتة، مادة كتبي».

تعرف إلى الكاتب الفرنسي ريمون كينو وكان في الخامسة عشرة فأخذ بيده إلى عالم الأدب، بعدما قرأ مخطوطة روايته الأولى «ساحة النجمة» عام 1967.

له أكثر من عشرين رواية ونشر روايته الأولى «ميدان النجم» في عمر الثالثة والعشرين. حمّل بعضها مأساة طفولته ومراهقاته، كما نقل مشاهد العديد من المصائر الإنسانية. ويتمحور معظمها حول مدينة باريس خلال الحرب العالمية الثانية، واصفاً حوادث مأسوية ومصائر أشخاص عاديين. من أعماله الروائية الأخرى «دائرة الليل» (1969)، «شوارع الحزام» (1972، نالت الجائزة الأدبية الفرنسية)، «المنزل الحزين» (1975، حازت جائزة المكتبات)، «كتيب العائلة» (1977)، «شارع الحواديت المعتمة» (1978)، «شباب» (1981)، «أيام الأحد في أغسطس» (1984)، «مستودع الذكريات» (1986)، «دولاب الطفولة» (1989)، «سيرك يمر» (1992)، «محلب الربيع» (1993)، «بعيداً عن النسيان» (1994)، «دورا بروريه» (1997)، «مجهولون» (1999)، «الجوهرة الصغيرة» (1999)، «حادث مرير» (2003)، «مسألة نسب» (2005)، «في مقهى الشباب» (2007) و«الأفق» (2010).

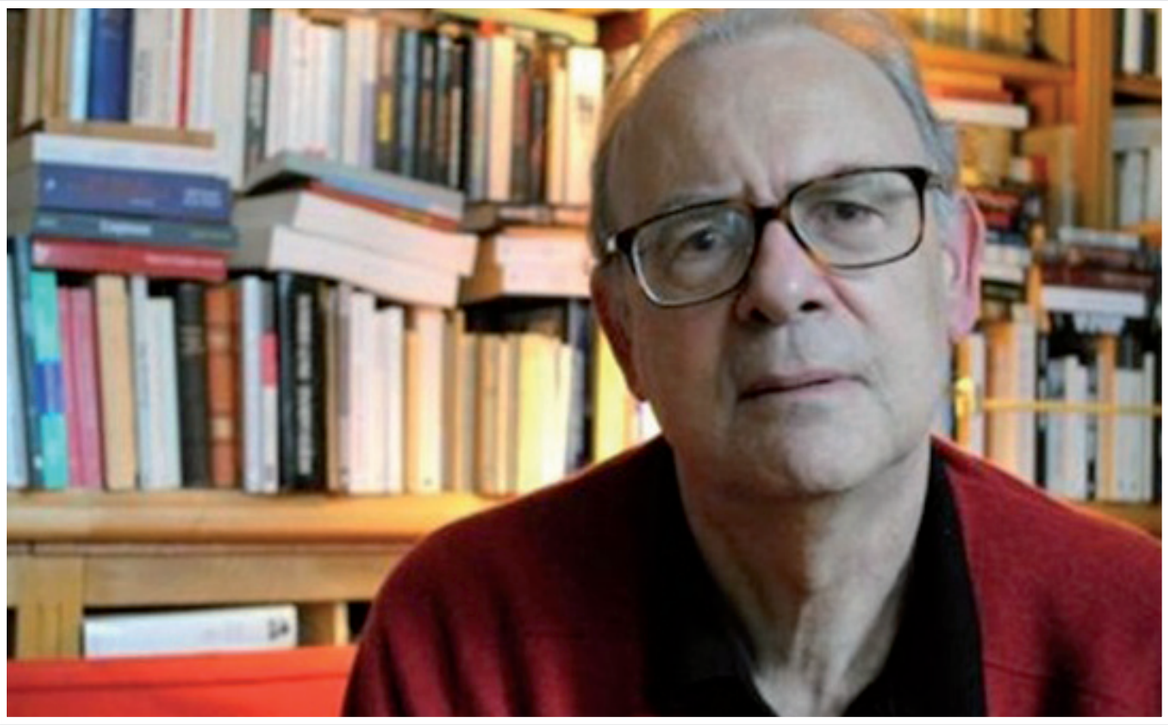

يتناول باتريك موديانو في روايته «عشب الليالي» قصة اختطاف المهدي بن بركة. وتدور حوادث الرواية في الستينات من القرن الفائت، في باريس. ونتبين أن بطلها شاب يبحث عن الحب وعن أصدقاء غامضين بينهم شابة وقع البطل في غرامها قبل أن تتورط في قضية بن بركة.

وقوع الحدث ذاك، خلّف ضجة سياسية كبرى. وفي تلك الأثناء كان باتريك موديانو في العشرين. يقول عن تلك الفترة: «كانت مرحلة غائمة أو بالأحرى ضبابية. لم أكن بلغت الحادية والعشرين، وكنت أعيش آنذاك إلى حد ما حياة مهاجر سري عابر في باريس وأرافق أناساً يرتبطون، على نحو غير مباشر، بعالم مشبوه وأتردد على أمكنة غريبة. وكانت هنا وهناك مؤشرات على ما سيصبح لاحقاً معروفاً بقضية بن بركة. وكانت تلك الأوساط المشبوهة والغريبة كما يجسدها في أثواب شتى في روايته، تضم رجال استخبارات مغاربة ومجرمين فرنسيين من ذوي السوابق، وهم الذين سيخططون وسيتعاونون على اختطاف زعيم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية المهدي بن بركة في باريس عام 1965، واختفت جثته إلى يومنا هذا.

حين نغلق هذه الرواية الممتزجة بالسيرة الذاتية يتملكنا إحساس بالخفة وبالفراغ اللذين كان يحس بهما باتريك موديانو لدى تجوّله في باريس على رصيف نهر السين المسمى رصيف هنري الرابع، ذات مساء من مساءات تموز. إنها رواية تحوي الكثير من أحلام كاتبها حول المحكوم عليهم، والرصاص الطائش، والفندق المريب... تعود الذاكرة بالكاتب الفرنسي إلى عمق الماضي وتفاصيله، ليلعب دور المخبر المحقق الباحث عن الحقيقة، من خلال ذكريات «باريس 1960، الخطيرة المظلمة والمضطربة».

في هذه الرواية يحاول الراوي (جون)، الذي نكتشفه تدريجياً، مستخدماً مفكرة مليئة بالملاحظات، إحياء أبناء الماضي من موتهم، أو إعادة الشباب إلى شيخوختهم، وإرجاعهم إلى تلك الأيام التي كان فيها يافعاً وعاشقاً لفتاة جميلة تدعى داني وذات جمال غامض. الراحل في «تاريخ قذر». ربما يريد أن يثبت أنه لا يحلم بل يعيش تلك الأيام من جديد. تقول داني في الرواية: «ماذا كنت لتقول لو قتلت أنا شخصاً ما؟». فيجيبها جون، من دون أن يأخذ قولها على محمل الجد: «ماذا أقول؟ لا شيء». ويكتشف في ما بعد أنها قتلت رجلا. جريمة تصفها داني بأنها «حادث، مجرد حادث، ومجرد رصاصات طائشة».

الرواية عبارة عن تيه في عالم الجريمة الباريسية، نجد فيها البطل والليالي الطوال التي لا يُعرف فيها طعم النوم، وشخوص مثيرة للقلق ومزعجة تطارد ذكريات مضطربة وتجعل الرواية مضطربة في آن واحد. وتستوحي هذه الرواية في جزء منها بعضاً من الحوادث التي رافقت قضية بن بركة. لكن موديانو يذكر الاختطاف والظروف التي مهدت له من دون أن يتعمق كثيراً في حيثياته وفي ما بعده. يكتفي فحسب بالتركيز على الأشهر السابقة. يتحدث عن شخص «خطير» هو الشقي «جورج.ب» المتورط في مسألة بن بركة. إنه أيضاً أحد مالكي فندق في مونبارناس. فندق غريب، مركز حوادث الرواية.

التاريخ والسيرة الذاتية

يستلهم باتريك موديانو واقعه وحياته الشخصية في «عشب الليالي»، أحدث رواياته الصادرة لدى دار «غاليمار» والتي لقيت حفاوة من الصحافة الأدبية التي تعتبره كاتباً «ذا أسلوب خاص». ويواصل في هذا العمل مقاومة النسيان وإعادة إحياء الأشخاص والأماكن عبر تصوير شامل وانطباعي، مازجاً بين الحوادث والسيرة الذاتية.

يقول موديانو، في حوار مع نيلي كابريلين لمجلة «أنروكابتيبل» الفرنسية في 10 تموز 2013 عن مضمون الرواية، وطبيعة معالجاتها، والخلفية التي ينهل ويستلهم منها، إنها صدى لمخزون ذكرياته فترة الشباب عن باريس وساحاتها وأهوالها ومخاوفها في العقد السادس من القرن العشرين، إذ لطالما رآها آنذاك مضمّخة بالفزع والأهوال. ويشدد على أسلوبه في الكتابة، فهو لا يكتب ليكتشف ذاته بل ليعي من يكون، على ما يشير. وهنا وقائع هذا الحوار الشائق والعميق الذي يضيء على جوانب من أدب موديانو.

● تستحضر روايتك الجديدة قصة رجل يبحث عن امرأة في الستينات من القرن العشرين كأنك تكتب معها الرواية ذاتها.

ـ منذ سنوات طويلة عندما كنت بين السابعة عشرة والاثنتين والعشرين، عايشت وخبرت جيداً معنى وطعم فترة الستينات، إذ مثلت المحرّك الروائي وكانت مرحلة غريبة مليئة بالشغب. ولم يكن لي أي روابط عائلية أو اجتماعية. تلك العناصر تأتيني بلا توقف مثل الأحلام. ومن هنا فإن كتاباتي، قد تكون متأثرة ومشبعة بهذه الفترة، وأحياناً على نحو لا شعوري.

● ما آلية اختيارك أحياء محددة في باريس لتكون مكان حوادث روايتك؟

ـ إنها الأحياء نفسها التي ترددت عليها وعرفتها. بعضها يرد إلى ذاكرتي بلا انقطاع. مثل الحي الثامن عشر في مونتوري والمدينة الجامعية في روايتي «ليالي العشب». إنها ترتبط بخمسة أعوام هي فترة أمور عشتها بصعوبة، كأنها بئر سوداء في حياتي. الناس الذين كنت ألتقيهم كانوا يجرونني إلى أمور خطرة، وكانت باريس في تلك الفترة، قلقة. كانت باريس سنوات ستينات القرن الفائت خطيرة جداً، مظلمة ومضطربة. كانت على مرمى حجر من الحرب التحريرية الدائرة في الجزائر. أرّخت لنفسي عبر محطات في الرواية. فحينها لم أدرس، كنت قاصرا. كانت باريس عهدذاك تخيفني. يمكننا أيضاً أن نلتقي كبار السن الذين يخبرونك عن ذلك.

● هل يمكننا القول بناءً على كلامك إن باريس في تلك الفترة كانت مسكونة بالاستعمار وحرب الجزائر؟

ـ بلى. بعض الأحياء في باريس كان مضطرباً أثناء حرب الجزائر، خاصة في الحي الثامن عشر في منطقة ربورت غليانكور. فالناس الذي كانوا يزورونا في شقتنا كانوا يأخذونني إلى أماكن غريبة، وهي مرتبطة بحرب الجزائر حيث تنتشر هناك مقاه في بورت دو اتالي في بولفار فنسان ـ أوريول. كانوا بشراً مرتبطين برجال الشرطة من الفرنسيين أو الجزائريين. هؤلاء الناس يراقبون كل شيء. تلك الأمور كلها تفزعني.

● أنت لا تكتب إذن بدواعي الحنين إلى الماضي؟

كلا، على الإطلاق. إنها أمور تبدو لي مزخرفة وبعيدة، أمور خالطتها وأمور مهددة.

● ما رأيك في فكرة التخييل الذاتي التي راج الحديث عنها في صدد روايتك الجديدة؟

ـ هذا مؤكد، إذ أصبح لازماً ومحتماً عليّ الانتفاع من مادة حكائية شخصية في الخصوص. بيد أني أعتقد دوماً أن المعطيات الأوتوبيوغرافية (الحكائية الذاتية) تكون نافعة إذا ضُخ فيها قدر من التخييل. أشعر ببعض الحذر إزاء المحاولة التي لا تسعى إلاّ إلى أن تكون أوتوبيوغرافية، رغم أني معجب مثلاً بـ «شواطئ أخرى» لنابوكوف، كذلك بأعمال شاتوبريان. لا يمكن للمرء أن يكون مهذباً تماماً مع ذاته، وقد يكون ملائماً أن ينسى المرء أو يمحو أموراً من حياته الشخصية، جميع أنواع النسيان. يصعب على المرء أن يكون المشاهد الشخصي لذاته. يتعذر عليه أن يسمع وقع صوته وأن يرى من خلفه. من هنا فإن المرء مرغم على الكشف عن ذاته.

ولهذه الأسباب، يبدو لي أن مشروعاً أوتوبيوغرافياً صرفاً هو شأن مصطنع، زد على ذلك أن هذا المسعى يجازف، أحياناً، بأن يصبح مجرد اجترار نرسيسيّ، بينما يتيح ضخّ التخييل التوجه نحو الآخرين، والتواصل مع القارئ، وجعل الأمور مدهشة أكثر لامرئ موجود خارج الذات. وإذا كانت السيرة الذاتية تعدم المزايا الشعرية كما لدى نابوكوف أو شاتوبريان، فإنها تنزع إلى المماحكة النرسيسية. إذا لم نجعل من المادة الحكائية سلبية، فإننا نكون إزاء عملية تأر بسيطة. أحب أن تحدث المادة الحكائية نوعاً من الوميض والتألق. أو على النقيض من ذلك، ما يهم هو وثيقة خامّ عن حياة شخص، شبيهة بتقرير بوليسي. إن «الأنا» التي تكتب في رواياتي ليست إذن ذاتية بشكل تام، إنها «أنا» أندسّ فيها لا بطريقة سردية بل بطريقة تكاد تكون حلمية، ومن الصعب تفسيرها. ليست الكتابة نهجاً أسعى إلى التعرف فيه إلى ذاتي. ليست هذه الأنا إذن استبطانية. لا يهمني اكتشاف من أكون.

صندوق ذاكرة الحب

في إحدى مقابلاته قال باتريك موديانو إنه يرى الحياة عبارة عن «مجموعة من الصور القديمة في صندوق الذاكرة» وأنه يكتب «مثل سائق يقود في الضباب». وينطبق قوله على قراءة روايته «الأفق» (صدرت ترجمتها العربية لدى دار «ضفاف» اللبنانية ومنشورات «الاختلاف» الجزائرية).

تكمن الضبابية والسرمدية في رواية «الأفق» في أنّ موديانو يكتب عن لا شيء وربما عن لا أحد. لا يستسيغ كثرة الحديث، ويدهشه الناس الذين يجيدون الكلام. يكتب عن صورة ويستلهم واقعه وحياته الشخصية، مازجاً بين السيرة والحدث، وتخيّله كله مبني على تنشيط ذاكرة التخطيط والأمكنة التي تكاد تكون لامرئية.

يرصد موديانو حركات الشخوص وسكناتها في الأماكن، شبحية أو عابرة أو مستلة من خرائط وزواريب وأمكنة. إنها تلك المشهدية في رواية تخلو من الحوادث لمصلحة السرد. تحتاج إلى صبر في القراءة وتدقيق في كل جملة عن مدينة باريس المحكومة بالغفلية والفردية المطلقة.

يريد المؤلف روايته عاطفية بعد سلسلة أعمال له جمع فيها دوماً مسألتين، البحث عن الهوية الضائعة والشعور الإنساني الفردي وضعف الإنسان أمام الفوضى والعبثية والاستهلاك في زمن الرأسمالية. يمنح موديانو في روايته أهمية قصوى لتفاصيل الحبكة وألاعيب الخيال. يجعل القارئ في تقص وصبر وملل للولوج في متن الرواية. شخوصه تعيش على إيقاع المطاردة والخوف والريبة والانكفاء على الذات والبحث عن ملاذ غير موجود.

يتارجح نص موديانو من السرد السرمدي الضبابي العاثر و«صندوق الذاكرة» الإيحائي الشذري. فهو يقول في «الأفق»: «توازي هذه النتف من الذكريات سنوات عمرك وقد شقت مقاطع الطرقات مسار حياتك وشرعت أمامك المخارج تلو المخارج، إلى حدّ أنك تشعر بحرج الاختيار بينها. كانت الكلمات التي يملأ بها دفتر مذكراته تشير إلى المقال المتعلق بـ«المادة المظلمة» والتي كان بعث بها إلى دورية تعنى بمجال الفلكيات. خلف الحوادث المحددة والوجوه المألوفة يقبع إحساس بكل ما صار لاحقاً مادة مظلمة: لقاءات قصيرة، مواعيد لم تتحقق، رسائل ضائعة»....

يستعيد المؤلف مقاطع ربطته بأفراد يعيش كل منهم ويملك قصته الخاصة، الغامضة، الشاحبة، والواقعة على طرف قصيّ من المجتمع، فأصحابها، مثل مارغريت لوكوز وميروف وبويافال وبروتيل، والسارد نفسه بوسمان، يعيشون حياة خلفية وباهتة ورتيبة بلا طموح، خارج الضغط الاجتماعي واليومي والاستهلاكي والفردي في مدينة باريس التي يقول عنها موديانو: «باريس التي عشت فيها والتي أدرج طرقاتها في كتبي لم تعد موجودة. لست أكتب إلاّ كي أستعيدها. ليس في الأمر أي نوستالجيا، «فأنا لا أتحسر على ما وجد قبلاً. غير أنني ببساطة، جعلت من باريس مدينتي الباطنية، بلدة الحلم. يتلاشى فيها الزمن وتتراكب فيها العصور. وحيث يتجسد ما سماه نيتشه بالعَوْد الأبدي. من الصعب جداً علي إذن أن أغادرها الآن. ذلك ما يجعلني أستشعر مرارا بأنني لا أحب أن أكرر نفسي وأن أراوح مكاني».

اهتم موديانو في رواياته بالأشخاص الذين يبحثون عن جذورهم الضائعة، واختار في روايته «الأفق» أن يكتب عن قصة حب تمتد في ثنايا النص على نحو متواتر ومتصاعد. البطلان جان بوسمان ومارغريت لوكوز في العشرينات من العمر يعربان عن ضياعهما في بداية الرواية في باريس في مرحلة قلقة متوترة وماضية هي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. يقعان في الحب في لحظة لقائهما الأول، وفي الوقت نفسه يدركان أن حبهما سيكون مستحيلاً، هذا الحب ينقطع بطريقة فجائية في ظروف قاسية صعبة، لكن يستمر في الذاكرة داخل كل منهما. وبعد أربعين عاماً وإذ لم يعد بوسمان يقوى على فراق مارغريت، يذهب للبحث عنها في مسقط رأسها علّها عادت الى هناك، ولتبدأ حياة أخرى وفصولاً جديدة هي فصول صندوق الذاكرة.

هنا فصل من رواية «الأفق»: «منذ زمن شرع بو سمانز يعيد التفكير في حقب من شبابه، مشاهد أو حلقات بلا نهايات التقطع ووجوه بلا أسماء ولقاءات خاطفة. ذلك كله كان ينتهي الى ماض بعيد. إنما إذ لم عتكن تلك اللقطات القصيرة متصلة بباقي حياته، استمرت معلقة في حاضر أبدي لم يتوقف البتة عن طرح أسئلة حولها لكنه لم يحصل على إجابات على الإطلاق. تلك البقايا ستبقى بالنسبة إليه على الدوام مثل الألغاز. وكان بدأ يضع لائحة كمحاولة منه لإيجاد بعض النقاط الرئيسية: تاريخ، مكان محدد، اسم معين كان نسيه. كان اشترى دفتراً صغيراً لتدوين الملاحظات وراح يحمله في جيب سترته الداخلية، ما كان يسمح له بتدوين أي ملاحظة في كل مرة تطل ذكرى منسية في رأسه وفي أي وقت من النهار. بدأ يشعر بأنه تحت وطأة لعبة تختبر طول باله. لكن في كل مرة كان يعود أدراجه الى الماضي كان يشعر بالندم: لِمَ اختار هذا الطريق وليس سواه؟ لِمَ تخلى عن هذا الوجه أو هذا الظل لمرآة تمسك بيدها حبل كلبها ويسير هذا الأخير وراءها وهي ترتدي قبعة من الفرو على رأسها؟ تملّكه شعور بالدوران في رأسه لمجرّد أنه فكر في ما كان يمكن أن يحصل ولم يحصل.

هذه المقتطفات من الذكريات تعود الى سنوات من الحياة التي يجد فيها دوماً الإنسان أنه أمام مفترقات جذرية في خياراته وعدد كبير من الممرات تفتح أمامه وعليه أن يختار وأن يتخطى حيرته.

الكلمات التي ملأت صفحات دفتره الأولى تذكرها جميعها في مقالة كتبها حول «المادة القاتمة» وأرسلها الى مجلة متخصصة في علم الفضاء. ووراء الحوادث المحددة والوجوه الأليفة بدأ يشعر بكل ما أصبح مصبوغاً بهذه المادة القاتمة: اللقاءات المختصرة، المواعيد الفاشلة الرسائل الضائعة، الأسماء وأرقام الهاتف التي كانت كلّها في مفكرة نسيتها، وهناك أيضاً كل الذين التقيتهم من دون أن تدري. وتماماً كما في عالم الفضاء فإن هذه المادة القاتمة تغلب وتتسع أكثر من الجزء المرئي من حياتك، لتصير لا متناهية. وهذا ما كان يحدث أكثر من رصد بعض الالتماعات والإشعاعات البسيطة وسط هذه الظلمة. إشعاعات بسيطة وضئيلة الى درجة أنه كان يغمض عينيه ويحاول أن يركز اهتمامه ليبحث عن تفصيل محرض يبني على أساسه المجموعة، لكن لم يكن هناك من مجموعة بل مجرد أجزاء، أو غبار نجوم. أراد أن يغوص في هذه المادة المظلمة ليربط من جديد الحبال المقطوعة بعضها ببعضها الآخر يعود قليلاً الى الوراء ويلتقط الظلال ليفهم أكثر عنها.

مستحيل إذ لم يبقَ امامه سوى البحث عن الأسماء. حتى الأسماء الاولى كانت تفعل سحرها مثل المغناطيس فتجعل بعض الانفعالات المرتبكة تستيقظ وتشع، رغم أنه كان يصعب جعلها واضحة. فهل كانت تنتمي الى الحلم أو الى الواقع؟

وميرويه، هل هو اسم عائلة أو اسم أول؟ لا يجب التركيز بقوة على هذا التفصيل كي لا يفلت منك الإشعاع. كان أمراً جيداً أنه سجله في دفتره. ميرويه أحاول أن أدير اهتمامي نحو شيء آخر، إنها أفضل طريقة لأعود وأحصل على الذكرى بسهولة وبشكل طبيعي. ميرويه.

راح يتمشى على طول شارع الأوبرا، وكانت الساعة نحو السابعة مساء. هل هي الساعة التي أحاول تحديدها هنا في هذا الشارع القريب من الجادات الطويلة ومن شارع البورصة؟ الآن يتوضح أمامه وجه ميرويه. إنه شاب يافع يرتدي سترة وتبرز على كتفيه خصلات شعره الذهبي اللون، حتى أنه يراه يرتدي بزة «خاصة بالموظفين الواقفين أمام المطاعم أو أمام الفنادق الضخمة، وهو يمتلك وجه طفل شاخ باكراً. كذلك وجه ميرويه يبدو ذابلاً مع صغر سنه. يبدو أننا ننسى الأصوات أيضاً مع مرور الوقت. ومع ذلك، يسمع صوت ميرويه، ويتذكر تلك النبرة الحديدية والمحددة لتتلفظ بكلمات جريئة ووقحة، تلك النبرة التي تطمح إلى أن تكون مثل نبرة «غافروش» أو اي «داندي» متآنق. وفجأة يتحول الى ضحكة عجوز. كان ذلك الصوت يصل من ناحية البورصة، نحو الساعة السابعة مساء لدى خروج الموظفين من مكاتبهم. راح الموظفون يتوافدون الى الخارج مثل سيول هائجة فيصلون إليك ويأخذونك بالفيضان الهائل. هذا ميرويه يخرج مع اثنين او ثلاثة من المجموعة، ويبدو صبياً ضخماً أبيض البشرة ملاصقاً لميرويه ويتحدث بشكل متواصل وبلهجة متوحشة. كذلك يرافقه شاب أشقر ضعيف الوجه ويضع نظارات ملونة على عينيه وهو محتفظ بصمته. المسن فيهم كان ليصل الى الخامسة والثلاثين ويلاحظ بوسمانز أنه يتذكره أكثر من وجه ميرويه لما تميّز به من وجهٍ مليء يتوسطه أنف أفطس مثل كلب «البولدوغ» وكان شعره البني اللون متراجعاً الى الوراء. لم يكن يبتسم البتة وكان يبدو سلطوياً الى أقصى درجة وظن بوسمانز أنه فهم تلقائياً أن ذاك الرجل هو مدير المكتب. كان يتحدث معهم بقسوة كأنه يلقنهم درساً والآخرون كانوا يستمعون إليه جيداً مثل تلامذة مجتهدين. ربما حاول ميرويه من وقت الى آخر إمرار ملاحظة وقحة، أما البقية فلم يذكر بوسمانز أبداً أنه رأى أي محاولة ضمنها. مجرد ظلال. هذا الشعور السيئ الذي كان ينتابه عندما يتذكر اسم ميرويه عاد فأحس به تماماً عندما تذكر كلمتين محددتين: «الشلة السعيدة».

ذات ليلة وكان بوسمانز على مألوفه ينتظر مارغريت لوكوز أمام ذاك المبنى، خرج ميرويه برفقة مدير المكتب والشاب الأشقر الذي يضع النظارات الملونة وتوجهوا ناحيته، فسأله مدير المكتب:

«هل ترغب في أن تنتمي الى «الشلة السعيدة»؟ وارتسمت على وجه ميرويه ابتسامة العجوز تلك، لم يعرف بوسمانز بمَ يجيب. الشلة السعيدة؟ الآخر، بوجهه القاسي الملامح، قال: «نحن نشكل الشلة السعيدة». واعتبر بوسمانز أن في الأمر ما يدعو الى الضحك بسبب تلك اللهجة المستفزة التي استخدمها. وحين تذكر بوسمانز هؤلاء الثلاثة تخيلهم وهم يمسكون كل واحد بعصا ويتمشون على طول الشوارع، ومن وقت الى آخر، يضربون أحد المارة على نحو فجائي. وفي كل مرة، كان يسمع صوت ميرويه وهو يضحك ويقول: في ما يختص بالشلة السعيدة، دعوني أفكر في الأمر.

كان الآخرون يشعرون بالخيبة. في العمق. لم يكن يعرفهم بقوة. وقد وجد نفسه معهم في المرّات الخمس أو الست فحسب. كانوا يعملون جميعاً مع مارغريت لوكوز وهي التي عرّفته إليهم. كان الرجل الأسمر ذو رأس «بولدوغ» يترأس مارغريت في العمل، وكان لا بد لها من أن تكون لطيفة معه، والتقوا بها مصادفة يوماً أمام شارع «دي كابوسين» ومعه ميرويه والأشقر الذي يضع النظارات الملونة. كانوا يخرجون من أحد النوادي الرياضية □...○، إذن بالنسبة الى «الشلة السعيدة»، هل قررت بشأنها»؟ كان ميرويه طرح السؤال على بوسمانز بلهجة قاسية، وكان هذا الأخير يجد طريقة للإفلات منه ومغادرة الطاولة. فكر في أن يقول لهم إنه مجبر على إجراء مكالمة هاتفية سريعة. لكنه كان يفكر أيضاً في زميلتهم في العمل مارغريت لوكوز وتأثير ذلك فيها. وكان يخاف أيضاً لأنه حتماً سيلتقيهمكلما قدم لمرافقة مارغريت لدى خروجها من المكتب بعد انتهاء دوام العمل. وراح ميرويه يصر على بوسمانز بأسلوب عنيف □...○ كان يقف بعيداً وينتظرها على الرصيف خوفاً من أن يجرفه هذا فيض العمال لدى خروجهم من المبنى في الساعة نفسها مع رنين الجرس الطنان الذي يؤكد انتهاء الدوام. في الأثناء بدأ يخاف من أن يفقدها أو أن تضيع منه وسط هذا الحشد، وتحسباً لذلك كان طلب إليها ان ترتدي لباساً مميزاً يمكنه من أن يميزها بين الآخرين: معطفها الأحمر. شعر وكأنه ينتظر أحدهم أمام سكة القطار ويحاول ان يجد هذا الشخص بين المسافرين الذين يمرون أمامه. بدأ عددهم يتضاءل هناك بعض الذين تأخروا وينزلون من المقطورة الأخيرة، وهو لم يفقد الأمل بعد في خروجها. وكانت عملت نحو اسبوعين في فرع «ريشوليو انتريم» وهو غير بعيد، ناحية «نوتردام دو فيكتوار». كان ينتظرها هناك أيضاً، عند الساعة السابعة مساء، في زاوية «شارع رادزيويل».

كانت وحيدة حين خرجت من المبنى الأول الى اليمين، وحين نظر إليها وهي تتقدم ناحيته، فكر بوسمانز في أن مارغريت لوكوز لن تتعرض بعد الآن الى الضياع وسط الحشد، ذاك الخوف من الفكرة الذي غالباً ما راوده على نحو متقطع، ومنذ لقائهما الأول □...○. كان يسير في اتجاه ديافنباكستراس. تساقط المطر بقوة، من ذاك المطر الصيفي وقد بدأ يهدأ بعدما راح هو يحاول الاختباء تحت الأشجار. لفترة طويلة، كان يفكر في أن مارغريت ماتت ربما، لكن ما من سبب ذلك، ما من سبب لذلك. ولا حتى السنة التي شهدت ولادتنا نحن الاثنين حين كانت المدينة تغرق في الحطام إذا نظرنا إليها من السماء ولكن فجأة بدأت تنبت زهور الليلك فيها بين الدمار وفي عمق الحدائق».